الصراع المصري العثماني (1830–1840)

* إبراهيم علاء الدين

** وسام عيّاش

*** رشا كميل

الملخص

حظيت بلاد الشام الممتدة من جبال طوروس شمالاً، وحتى شمال سيناء جنوباً ومن غرب العراق شرقاً، إلى ساحل البحر المتوسط غرباً، بأهمية تاريخية واقتصادية وسياسية وعسكرية كبيرة، نتجت في المقام الأول عن أهمية موقعها الجغرافي والاستراتيجي.

ستتناول هذه الدراسة الصراع المصري –العثماني في العقد الرابع من القرن التاسع عشر، حيث مثَّل توسع محمد علي في بلاد الشام مرحلة تاريخية هامة ذات مغزى في تاريخ المنطقة العربية، وكان لها تأثيرها القوي في أوروبا وتاريخ العلاقات الدولية، وتوصلت الدراسة إلى أن تفكير محمد علي ببناء دولة مصرية حديثة قادهُ بالضرورة إلى تتبع الارتباطات الاستراتيجية لمصر بالأطراف المحيطة بها، وهي بمجملها عربية وأبرزها أهمية الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط (بلاد الشام)، لكونه جبهة مصر الشمالية ومحور الخطر العثماني إلى مصر.

كلمات مفتاحية: الدولة العثمانية – بلاد الشام – الحرب اليونانية– معاهدة هنكار اسكله سي– معاهدة لندن.

* الدكتور المشرف: أستاذ مساعد – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية- اللاذقية – سوريا.
** الدكتور المشارك: مدرّس – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية- اللاذقية – سوريا.
*** طالبة - دراسات عليا (دكتوراه)- قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة اللاذقية – طرطوس – سوريا.
rshakmyl725@gmail.com

The Egyptian-Ottoman conflict (1830-1840)

* Ibrahim Alaeddin

** Wisam Ayyash

***Rasha Kamil

Abstract

The Levant, extending from the Taurus Mountains in the north to northern Sinai in the south, and from western Iraq in the east to the Mediterranean coast in the west, has enjoyed great historical, economic, political and military importance, resulting primarily from the importance of its geographical and strategic location. This study will examine the Egyptian-Ottoman conflict in the fourth decade of the nineteenth century, as Muhammad Ali's expansion in the Levant represented an important and significant historical stage in the history of the Arab region, and had a strong impact on Europe and the history of international relations. The study concluded that Muhammad Ali's thinking about building a modern Egyptian state necessarily led him to follow the strategic connections of Egypt with the surrounding parties, which are mostly Arab, and most notably the importance of the eastern coast of the Mediterranean Sea (the Levant), as it is Egypt's northern front and the axis of Ottoman danger to Egypt.

Keywords: Ottoman Empire - Levant - Greco-Roman War - Treaty of Hünkâr İskelesi - Treaty of London.

* Assistant Professor - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Lattakia - Lattakia - Syria.

** Professor - Department of History - Faculty of Arts and Humanities - University of Lattakia - Lattakia - Syria.

*** Student - Postgraduate Studies (PhD) - Department of History - Faculty of Arts - University of Lattakia - Tartous - Syria. rshakmyl725@gmail.com

المقدمة

دخل محمد علي مصر عام 1799م وكان عمره ثلاثين عاماً، جاء إلى مصر كمساعد لابن عمه خليل آغا الذي عُين بأمر الدولة العثمانية قائداً لسرية مؤلفة من مائتي متطوع، وكانت مصر لا تزال تحت الاحتلال الفرنسي، وعندما فرَّ خليل آغا ترأس محمد علي السرية وأخذ يكتسب الأهمية بصورة مطردة بعد الاحتلال الفرنسي، حيث كان يقبض على المماليك الذين يخرجون عن طاعة الباب العالي فجذب انتباه الباب العالي هذا الضابط الشاب وبدأ يعتمد عليه.

وشارك محمد علي في الحرب اليونانية إلى جانب الدولة العثمانية، وخرج منها دون أن يظفر بفتوح جديدة ولم يحقق أي استفادة من المشاركة فيها، وقد أرادت الدولة العثمانية أن تعوض عليه ما فقده في هذه الحرب، فأسندت إليه ولاية جزيرة كريت لكن هذا التعويض لم يكن ذا قيمة ورأى أن يضم بلاد الشام إلى مصر، وطلب محمد علي أكثر من مرة من السلطان محمود الثاني أن يمنحه بلاد الشام ولكن دون جدوى، ولم يُجبهُ السلطان في طلبه فأعتزم محمد علي أن يناله بحد السيف.

إشكالية الدراسة:

إن الحملة التي وجهها محمد علي إلى بلاد الشام سنة 1830، بقيادة ابنه إبراهيم باشا تؤلف صفحات ذات شأن عظيم من تاريخ بلاد الشام، فهل نجح محمد علي في تحقيق طموحاته السياسية وإقامة إمبراطورية عربية قوية مستقلة عن الدولة العثمانية؟

وما طبيعة الدور الذي لعبته القوى الأوروبية بالتدخل بهذا الصراع إيجاباً أو سلباً؟

أهمية الدراسة:

ارتبطت مصر منذ القدم ببلاد الشام ارتباطاً أملتهُ الظروف الطبيعية، وتكمن أهمية الدراسة في إلقاءها الضوء على فترة مهمة من تاريخ الدولة العثمانية، وطبيعة علاقتها بأحد ولاتها (محمد علي) والي مصر نظراً لأهمية تجربة الحكم المستقل الذي أنشأه محمد علي، ونرجو من خلال هذه الدراسة أن نضيف رصيداً نظرياً لذلك الموجود من خلال استخلاص مجريات هذا الصراع ونتائجه.

الجديد في الدراسة:

أردنا أن تفتح هذه الدراسة الباب أمام الباحثين والطلبة للتعرف على هذه المرحلة التاريخية كونها فترة مهمة في تاريخ بلاد الدولة العثمانية، وبما أن أغلب الدراسات السابقة ركزت على السرد العسكري لهذا الصراع جاءت هذه الدراسة للتركيز على الدبلوماسية العثمانية التي هدفت لاحتواء الصراع المصري –العثماني برعاية أوروبية لتسوية المسألة المصرية في إطار آلية توازن القوى الأوروبية.

أهداف الدراسة:

يتمثل الهدف الرئيس لهذه الدراسة في معرفة طبيعة حملة محمد علي على الشام خلال القرن التاسع عشر، ومعرفة دوافع الدول الأوروبية لاتخاذها مواقف صارمة تجاه الحملة، وصولاً لانسحاب جيوش محمد علي من بلاد الشام، حيث اختلفت الآراء حول تجربة محمد علي فمنهم من عدها مشروعاً نهضوياً أعاد لمصر دورها الريادي في المنطقة، ومنهم من رآها مشروعاً توسعياً استنزف ثروات بلاد الشام لتحقيق مآرب شخصية وتمرداً على الدولة العثمانية، وتهدف الدراسة إلى الوقوف على حقيقة هذا الصراع، وهل نجح محمد علي في تحقيق أهدافه.

فرضيات البحث:

شكل العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي في الفترة الممتدة بين عامي (1830–1840)، الإطار الزمني لعنوان هذه الدراسة، بينما شكلت بلاد الشام بكامل ولاياتها الإطار الجغرافي.

مصطلحات البحث:

كوتاهية (kotahia): تقع في الأناضول، مركز لواء كوتاهية وسلطات أونو في ولاية "جداوندكار".

معاهدة هونكار اسكله سي (Hünkâr iskelesi): معاهدة تاريخية شهيرة بين الدولة العثمانية وروسيا وقعت عام 1833، في منطقة بالقرب من إسطنبول (اسكدار/اسكوداري)، في قصر اسكله سي (çiragansarayi).

دراسة مرجعية:

1- عصر محمد علي- عبد الرحمن الرافعي – القاهرة – 1989- هذا الكتاب يتناول عصر محمد علي في مصر والزعامة الشعبية في السنوات الأولى من حكمه، وينتقل بعد هذا إلى مرحلة إقصاء الزعامات الشعبية عن الميدان السياسي وانفراد محمد علي بالحكم، ثم الولوج في السياسة الداخلية لتحديث وتطوير مصر، باختصار أنه مرجع أساسي للدارسين والمهتمين بتاريخ مصر وبلاد الشام والعلاقات بينهما في العصر الحديث.

2- الحكم المصري في الشام – لطيفة محمد سالم – القاهرة – 1990- يُعد الكتاب مرجعاً أساسياً لفهم هذه المرحلة التاريخية التي شكلت جزءاً هاماً من تاريخ المشرق، خاصة فترة التوسع المصري في الشام، الكتاب دراسة تاريخية وأكاديمية معمقة، تقدم تحليلاً شاملاً ومفصلاً لتجربة الإدارة والحكم المصري في بلاد الشام خلال فترة تاريخية هامة.

منهجية الدراسة:

1-المنهج التاريخي العلمي: الذي سلط الضوء على أسباب الصراع المصري – العثماني، باتباع تسلسل تاريخي وزمني للأحداث من خلال المادة العلمية التي تم جمعها من المصادر والمراجع.

2-المنهج التحليلي: تحليل جذور الصراع المصري –العثماني وتطوراته.

مناقشة الدراسة:

-كان محمد علي يهدف إلى بناء دولة قوية في مصر يتجاوز كونها مجرد ولاية عثمانية ويتحول من تابع للسلطان إلى حاكم مستقل يسعى لتشكيل إمبراطورية عربية قوية، وهو ما قاده إلى التمرد المباشر على الدولة العثمانية، بعد أن أصبحت قواته البرية والبحرية على أهبة الاستعداد، وراح يلتمس ذريعة للزحف على بلاد الشام.

أسباب الصراع المصري – العثماني:

بدأت ملامح الصراع بين الدولة العثمانية ومحمد علي تتجه نحو حالة من التأزم عقب فشل كل محاولات محمد علي [1] باشا (1770–1849م)، السلمية عند السلطان محمود الثاني[2](1808–1839م)، لإقناعه بضم بلاد الشام إلى ولايته مصر، فقد خاب ظن محمد علي باشا من خلال الانتصارات المتلاحقة التي حققها لمصلحة الدولة العثمانية بتنفيذه لأوامر السلطان في محاربة الحركة الوهابية[3] بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحجاز ونجد (1811–1818م)، وإخماد ثورة اليونان (حرب المورة)[4] (1824–1827م) التي خسر فيها أسطوله البحري، فأعتقد محمد علي أن السلطان سيكافئهُ بمنحه ولاية بلاد الشام، ولما خاب ظنه أقدم على تجريد حملة عسكرية لاحتلالها بالقوة إلى ولايته مصر، ويمكن إجمال الأسباب التي دفعت محمد علي للقيام بهذا العمل العسكري بما يلي:

أ- الأسباب غير المباشرة:

- سعي محمد علي بعد أن بدأت أحواله السياسية عقب قضائه على المماليك[5]، تأخذ طريقها إلى الاستقرار داخل ولاية مصر، فأنتهج سياسة توسعية لتحقيق طموحاته السياسية والعسكرية [6].

---

[1] محمد علي :ولد في مدينة قوله بمقدونية باليونان سنة 1770، وعين والياً على مصر سنة 1805، وهو مؤسس العائلة الخديوية، وتوفي في القاهرة سنة 1849، عن عمر يناهز 80عاماً. بلعابد، رابعة- غنجور، يمنية، *الإصلاحات العثمانية وأثارها على بلاد الشام (1808-1861)، ص28.*

[2]السلطان محمود الثاني: ابن السلطان عبد الحميد الأول، ولد في إسطنبول 1808، ويعد أول من وضع أساس الحكومة الحديثة في الدولة العثمانية، وتوفي سنة 1839م. أوغلو، عبد القادر، *السلاطين العثمانيين*، ص30

[3]ا لحركة الوهابية: حركه إصلاحية أسسها محمد بن عبد الوهاب في نجد في القرن 18، تقوم على الأخذ بصريح الكتاب والسنة، واعتبار ما لا أصل له بدعة، ويُعد كتاب التوحيد للأمام محمد بن عبد الوهاب المرجع الأول لدراستها. غنام، حسن، *تاريخ نجد*، ص81.

[4]حرب المورة وقعت بين العثمانيين والمصريين من جهة واليونانيين من جهة أخرى بعد إعلان اليونان الثورة على العثمانيين وإعلان استقلالهم، وفشل العثمانيون في القضاء عليها فاستعان السلطان بمحمد على للقضاء عليها. مانتزان، روبير، *تاريخ الدولة العثمانية، ص42.*

[5] مذبحه المماليك: واقعه شهيرة في التاريخ المصري دبرها محمد علي باشا للتخلص منهم. أبو عز الدين، *سليمان، إبراهيم باشا في سوريا*، ص23.

[6] أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حالة الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر ومواقف الدول الأوروبية منه*، ص 960.

- شعور محمد علي بضعف السلطان العثماني محمود الثاني وعجزه عن نشر الأمن في بلاد الشام، وعدم قدرة السلطان على حمايتها وردعهُ عنها إذا ما بدأ بتنفيذ مشروعه باحتلالها، حيث أختار محمد على الوقت الذي كانت فيه الدول العظمى منهمكة بالشؤون الأوروبية، والدولة العثمانية منهكة القوى بسبب النكبات والثورات.[7]
- حاله الصراع بين محمد علي باشا وعبد الله باشا والي صيدا[8] وتصادم مصالحهما بمساعي كل واحد منهما لضم بلاد الشام إلى ولايته.
- وقوف عبد الله باشا عائقاً أمام وصول عقل التوت القادمة من لبنان إلى مصر والاستيلاء عليها بالقوة تحدياً لمحمد علي باشا الذي كان يعتمد عليها في تنشيط زراعة التوت.
- قيام عبد الله باشا بتهريب التجارة الدولية من الجمارك المصرية وتحويلها عن طريق سيناء وابتزاز التجار المصريين، و امتناعه عن تسديد المبلغ الذي كان قد استدانهُ من محمد علي عندما طالبهُ السلطان بدفع ستين ألف للخزينة السلطانية من أجل العفو عنه.[9]
- أراد محمد علي أن يأخذ من هذه الأسباب ذريعة أمام السلطان العثماني للزحف على ولاية صيدا ليؤدب واليها، غير أن السلطان لم يكن ليوافق محمد علي باشا على عزمه هذا لعلمه بأهداف الحملة الحقيقية، فتجاهل السلطان محمد علي، فكان ردهُ بأن أعلن الخروج على السلطان العثماني .[10]

ب –الأسباب المباشرة :

- غضب السلطان محمود الثاني من محمد علي لأنه رفض تقديم المساعدة أثناء الحرب العثمانية الروسية عام 1829م، وكانت تلك الشرارة التي أشعلت نار الفتنة والقطيعة بين الباشا والباب العالي[11]، هذه النوايا السيئة التي كان يكنها السلطان لمحمد علي، أيقظت الحذر بين جوانح محمد علي الذي توقع نشوب الحرب عليه في أي وقت[12].

[7] أبو عز الدين، سليمان، *إبراهيم باشا في سوريا*، ص68.
[8] صيدا: مدينه على ساحل البحر المتوسط تقع بين بيروت وصور. الحموي، ياقوت، معجم *البلدان*، ص 438.
[9] أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حالة الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر ومواقف الدول الأوروبية منه*، ص965.
[10] أبو عز الدين، سليمان، *إبراهيم باشا في سوريا*، ص 58.
[11] بلال، هدى علي، *الصراع العثماني المصري على بلاد* الشام والموقف الدولي منه، ص 344.
[12] لطيفة، سالم، *الحكم المصري في الشام*، ص20.

• كانت الظروف في (1831)، ملائمة لتنفيذ مشروعه فإن الدولة العثمانية قد خرجت من الحرب اليونانية 1827م، ثم من الحرب الروسية 1829م ضعيفة منهكة القوى، وزاد في ضعفها كثرة الفتن والاضطرابات الداخلية فيها، وقد ألغى السلطان محمود الثاني 1826م فرقة الانكشارية التي كانت قوام الجيش العثماني، وذلك لما كانت عليه من الفوضى وأبادهم، ولكنه لم يجد متسعاً من الوقت لينشئ بدلاً منهم جيشاً جديداً نظامياً، في حين أن محمد علي كان على تمام الأهبة للدخول في حومة الوغى، معتمداً على الجيش النظامي الذي قضى سنوات عدة في إنشائه وتدريبه[13] فتذرع محمد علي بحجة أن كثير من الفلاحين المصريين هاجروا إلى بلاد الشام فراراً من أعباء السخرة والضرائب التي فرضها محمد علي عليهم، وتخلصاً من الخدمة العسكرية [14]، فطلب من عبد الله باشا والي صيدا بأن يُرجع المهاجرين المصريين لبلادهم، فرفض عبد الله باشا طلبه محتجاً بأن المصريين من الرعايا العثمانيين ولهم الحق بأن يقيموا أنى شاؤوا، فغضب محمد علي من هذا الجواب وكتب إليه يتوعده وينبئهُ أنه قادم ليعيدهم جميعاً يزيدون واحداً وهو عبد الله باشا بذاته.[15]

حروب محمد علي في بلاد الشام واتساع رقعة دولته:

كانت الحملة المصرية على بلاد الشام مؤلفة من ست آلايات[16] من المشاة وأربعة من الفرسان عدتهم ثلاثون ألف مقاتل[17] بقيادة إبراهيم باشا(1789–1848)[18]، واحتشد جنود الحملة فريق في ضواحي القاهرة وفريق في الإسكندرية[19]، وفي التاسع والعشرين من شهر

[13] الرافعي ، عبد الرحمن .عصر محمد علي ، ص220.

[14] هنداوي، سهام، *التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية*، ص36.

[15] الرافعي، عبد الرحمن، *عصر محمد علي*، ص 221.

[16] آلاي : مصطلح عسكري يعني كتيبة عدد أفرادها بين 1374-4547 جندياً نظامياً من المشاة . أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حالة الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر ومواقف الدول الأوروبية منه*، ص970.

[17] بركات، داوود، *البطل الفاتح إبراهيم باشا وفتحه الشام*، ص26.

[18] إبراهيم باشا: (1789-1848) قائد مصري، الابن الأكبر لمحمد علي، عينه أبوه قائد للحملة المصرية ضد الوهابيين 1816-1819، فأخمد ثورتهم وقضى على حكمهم، ثم شارك إلى جانب السلطان محمود الثاني وأخمد ثورة اليونان، وقد وصل في فتوحاته حتى كوتاهية 1833، إلا أن التدخل الأوروبي حرمه من مواصلة زحفه. غربال، محمد شفيق، *الموسوعة العربية، مج1*، ص463.

[19] أبو عز الدين، سليمان، *إبراهيم باشا في سوريا*، ص73.

تشرين الأول 1831، أصدر محمد علي أوامره بتحرك الحملة [20]، نحو بلاد الشام عن طريق العريش وعن طريق البحر في آن واحد لمحاصرة عكا من الجهتين، وفتحت الجيوش البرية في مسيرها مدائن غزة ويافا وبيت المقدس ونابلس [21]، واستمرت القوات البرية في السيطرة على المدن حتى التقت مع القوات البحرية وضربت الحصار على عكا من البر والبحر [22]، وانتهى حصار عكا بتسليمها للجيش المصري بعد أن استمر ستة أشهر[23]، وكان سقوط عكا في 27 أيار 1832، إيذاناً ببدء الزحف الخاطف الذي قام به الجيش المصري في بلاد الشام حيث أخذت المدن الشامية تسقط في يده تباعاً [24] ثم اتجه إبراهيم باشا شمالاً قاصداً فتح دمشق ونجح في فتحها في 9حزيران 1832 [25]، فسيّر السلطان العثماني جيشاً لقتال إبراهيم بقيادة حسين باشا والتقى الجيشان في واقعة حمص، وقد كانت واقعة حمص أول معركة كبيرة اقتتل فيها الجيشان المصري والعثماني وجهاً لوجه وتقهقرت الجيوش العثمانية وتحصنت في مضيق بيلان [26] وانتهت واقعة بيلان بهزيمة الجيش العثماني بعد قتال دام ثلاث ساعات [27]، ثم اجتاز الجيش المصري حدود سوريا شمالاً ودخل أضنة، ثم دخل قونية[28]، وفتح الانتصار في معركة قونية أبواب إستانبول أمام جيوش إبراهيم باشا التي أصبحت على مسيرة ستة أيام، ثم تقدم فاحتل كوتاهية[29].

مواقف الدول الأوروبية من احتلال إبراهيم باشا كوتاهية :

ولما تواترت أخبار انتصار المصريين على العثمانيين واحتلالهم كوتاهية، خشيت الدول الأوروبية أن يكون قصد محمد علي باشا احتلال إستانبول وإسقاط عائلة بني عثمان والاستئثار

[20] لطيفة، سالم، *الحكم المصري في الشام*، ص40.
[21] المحامي، محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، ص327.
[22] بلال، هدى علي، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، ، ص345.
[23] أبو عز الدين، سليمان، *إبراهيم باشا في سوريا*، ص91.
[24] غازي، علي عفيفي علي، *الصراع المصري العثماني والتوازن الدولي*، ص65.
[25] أبو عزالدين، سليمان، *إبراهيم باشا في سوريا*، ص91.
[26] مضيق بيلان : من أهم مضائق جبال طوروس الفاصلة بين بلاد الشام والأناضول، وله شهرته في التاريخ .المصطفى، عبد الإله أحمد، *السياسة الأوروبية وتطورها في بلاد الشام (1840-1878)*، ص99.
[27] بركات، داوود، *البطل الفاتح إبراهيم باشا وفتحه الشام*، ص79.
[28] قونية : مدينة في وسط تركيا الآسيوية، عاصمة سلطنة الروم السلجوقية .مجموعة باحثين، *المنجد في اللغة* والإعلام، ص559.
[29] بلال، هدى علي، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، ص346.

بالخلافة الإسلامية فيؤدي ذلك إلى خلل في التوازن الأوروبي، وكانت روسيا أشد قلقاً من غيرها لخوفها من سقوط إستانبول في قبضة محمد علي باشا ولذلك عرضت المساعدة على الدولة العثمانية، وأنزلت فعلاً على شواطئ الأناضول خمسة عشر ألف جندي لحماية إستانبول، فاضطربت فرنسا وبريطانيا وخشيت سوء عاقبة تدخل روسيا بصفة عسكرية[30]، فعدت الدول الأوروبية تدخل روسيا أشد خطراً عليها من محمد علي باشا لذلك أسرعت إلى توحيد كلمتها بضرورة حماية الدولة العثمانية.[31]

كانت فرنسا تخشى تطورات الأمور وأمام خوفها من قبول السلطان مساعدة روسيا أصدرت الحكومة الفرنسية أوامرها في 23 كانون الثاني 1832م، من أجل تعزيز أسطولها في البحر المتوسط رغم تصريح محمد علي بأنه مهما بلغت الانتصارات التي أحرزها ابنه إبراهيم باشا على الصدر الأعظم محمد رشيد باشا فأنه لا يسعى إلى خلع السلطان[32]، وقد جاء تقدم القوات المصرية باتجاه بلاد الشام يكشف حقيقة مواقف الدول الأوروبية المتباينة حيث تمثلت ب:

- ظهور أوروبا الجديدة بعد سقوط نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte)[33] وقيام تجربة دستورية في فرنسا على غرار التجربة البريطانية، مع تمسك فرنسا بسياسة التوسع الخارجية للحصول على المزيد من المكاسب.
- يقظة الشعور القومي لدى شعوب إقليم البلقان الصغيرة التي أدت إلى استقلال رومانيا 1820م، المكونة من إقليمي الافلاق والبغدان العثمانيين بمساعدة روسيا، ثم جاءت ثورة اليونان وحصولها على الاستقلال بمساعدة الدول الأوروبية بما فيها روسيا وفرنسا وبريطانيا.
- تضارب السياسات الأوروبية تجاه الدولة العثمانية (المسألة الشرقية) من التدخل الروسي.[34] ويمكن القول أن الدبلوماسية الروسية والتحرك النشط الذي قامت به كان

[30] المحامي، محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، ص 329.
[31] بلال، هدى علي، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، ص 347.
[32] حسين، يوسف عمر يوسف، *الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية*، ص 53.
[33] نابليون بونابرت (Napoleon Bonaparte) (1769-1821): ولد في 15 أب سنة 1769، في مدينة أجاكسيو في جزيرة كورسيكا ثم دخل المدارس الحربية وترقى إلى وظيفة ملازم ثاني طوبجة سنة 1785، واشتهر في تخليص مدينة طولون من بريطانيا، ثم عين قائداً عاماً للجيش المحارب في إيطاليا سنة 1796.المحامي، محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، ص372.

ينبع من إدراكها لخطورة التحرك المصري باتجاه العاصمة إستانبول وتهديدها للمصالح الروسية، مما يمنح فرنسا الفرصة لزيادة تدخلها في شؤون الدولة العثمانية ومساندتها لمحمد علي باشا، لذلك نجد أن روسيا سارعت في عرض مساعدتها على الدولة العثمانية، لقد كان محمد علي باشا مدركاً لحقيقة الموقف الروسي وهيمنة القيصر نيقولا الأول(Nicholas I) [35] على السلطان العثماني محمود الثاني غير أنه كان يراهن على مساندة فرنسا وبريطانيا له، في حين أن السلطان العثماني شعر بالقوة نتيجة قدوم القوات الروسية فطلب من محمد علي باشا سحب جيشه، و إبرام معاهدة سلام معه وفي حال تحقيق ذلك تتعهد الدولة العثمانية بمغادره الأسطول الروسي من البوسفور، استشعرت بريطانيا وفرنسا خطورة قدوم القوات الروسية، فطلبتا من محمد علي الانسحاب من المناطق التي سيطر عليها، كما تدخلت فرنسا وبريطانيا لدى السلطان لتسوية الوضع نتيجة تعاظم النفوذ الروسي في الدولة العثمانية وما يشكله من مخاطر على مصالحهما[36]، كما خشيت النمسا من التدخل العسكري الروسي لصالح الدولة العثمانية، مما يسمح لروسيا بالتوغل في المناطق المتاخمة لها [37]، فأرسل السلطان محمود الثاني خليل باشا[38] موفداً خاصاً إلى محمد علي باشا الذي تجاهل الضغط الفرنسي وظل متمسكاً بمطالبه بامتداد نفوذه إلى المناطق التي وصلتها الجيوش المصرية في بلاد الشام وأضنة[39]، وإزاء تأزم الموقف وخاصة بعد إعلان إبراهيم باشا عزمه الزحف على إستانبول إن لم يستجب السلطان لمطالب والده، فقد تجددت مساعي

---

[34] العربيات، غالب عبد أحمد – شنيكات، خالد حامد طاهر، *الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام (1831- 1841م)*، ص387.

[35] نيقولا الأول (Nicholas I): تولى العرش بعد موت إسكندر سنة 1825، وكانت فترته أشد الفترات التي شهدتها روسيا في عهده، فقامت ثورة بولندا التي قضى عليها بشدة. زوليخة، صفية – حسناوي، خديجة، *المواجهة الأوروبية المصرية في عهد محمد علي*، ص46.

[36] المحامي، محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، ص 329.

[37] غازي، علي عفيفي علي، *الصراع المصري العثماني والتوازن الدولي*، ص71.

[38] خليل باشا : من أصل قوقازي عمل ضابطاً بالجيش النظامي وشارك في إخماد الانتفاضة اليونانية، منح لقب باشا نظير ما أبداه من شجاعة وعلى مدة ستة أشهر عمل سفيراً لدى روسيا، فور عودته عيّن في منصب قائد الأسطول .فنادولينا، أنينل ألكسندرو، *الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية*، ص31.

[39] أضنة: هي مدينة بجنوبي تركيا، عاصمة ولاية سيهان على الضفة اليسرى لنهر سيهان، تعد رابع مدن تركيا حجماً ومركز تجاري هام. غربال، محمد شفيق، *الموسوعة العربية الميسرة*، مج *61*، ص72.

سفراء الدول الأوروبية للضغط على السلطان من جهة ووالي مصر من جهة أخرى، لإقرار مصالحة بينهما وأثار تشدد محمد علي باشا بمطالبه توتر بريطانيا التي أخذت ترمي بثقلها لإنهاء الموقف وكبح جماح والي مصر، فأرسلت أسطولها إلى ميناء الإسكندرية لإجبار محمد علي باشا لعقد مصالحة بينه وبين السلطان محمود الثاني لوقف خطر التمدد الروسي.

اتفاق كوتاهية (8 نيسان 1833):

اضطر الباب العالي أمام الضغوط المستمرة من قبل فرنسا وبريطانيا إلى الإذعان لمطالب محمد علي باشا فأرسل مبعوثه مصطفى رشيد إلى إبراهيم باشا في كوتاهية للتفاوض بشأن عقد مصالحة بين الطرفين بوساطة فرنسية مثَّلها فيها سكرتير سفارتها في إستانبول البارون دو فارين (Duvarin)[40] ،وبعد مفاوضات دامت أربعة أيام تم الاتفاق على الصلح في 8 نيسان 1833م [41]، وهو المعروف باتفاق كوتاهية (Kutahya)[42]، تم فيه الاتفاق على النقاط التالية:

1- أن ترجع جيوش محمد علي عن إقليم الأناضول إلى ما بعد جبال طوروس.

2- يعطى محمد علي ولاية مصر مدى حياته.

3- يعين إبراهيم بن محمد علي والياً على إقليم أضنة وهو الإقليم المتاخم للأناضول[43].

4- تعيين محمد علي والياً على بلاد الشام وجزيره كريت[44].

وقد مارست الدول الأوروبية ضغوط كبيرة على السلطان العثماني لكبح جماح محمد علي وإلزامه بالتوقف عن تهديد عاصمة الدولة العثمانية والقبول بنص اتفاقية كوتاهية 1833، الذي يحقق المصلحة الأوروبية بالدرجة الأولى[45].

---

[40] أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حاله الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر ومواقف الدول الأوروبية منه*، ص 980.

[41] بلال، هدى علي، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، ص348.

[42] كوتاهية (Kutahya): تقع في الأناضول، مركز لواء كوتاهية، وسلطان أونو في ولاية "جداوندكار". س.موستراس، *المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية*، ص428.

[43] شاكر، محمود، *التاريخ الإسلامي" العهد العثماني"*، اص170.

[44] غازي، علي عفيفي علي، *الصراع المصري العثماني والتوازن الدولي*، ص80.

معاهدة هنكار اسكله سي(8 تموز 1833):

و في 6 أيار 1833م أصدر السلطان محمود الثاني فرماناً أعلن فيه تثبيت محمد علي باشا على مصر و كريت وإسناد ولاية سوريا إليه وتجديد ولاية إبراهيم باشا على الحجاز وتخويله إدارة إقليم أضنة[46]، و لم تكن الدولة العثمانية في حقيقة الأمر مقتنعة تماماً بنوايا محمد علي للسلام رغم توقيع صلح كوتاهية، كما كان واضحاً للدولة العثمانية أن فرنسا وبريطانيا قد نأتا بنفسيهما منذ البداية عن مسألة الدفاع عن الدولة العثمانية، وربما هذا ما دفع الدولة العثمانية للتفكير فيما إذا قرر محمد علي مهاجمتها مره أخرى بعد انسحاب القوات الروسية، كما أن روسيا لم تكن لترضى بأن تخرج صفر اليدين وهي الدولة الوحيدة التي أرسلت قواتها براً وبحراً لنجدة الدولة العثمانية لذلك قررت روسيا الضغط على الدولة العثمانية من خلال التشكيك بنوايا محمد علي[47]، ولم يمض شهرين على عقد صلح كوتاهية حتى أقدم السلطان العثماني على عقد معاهدة هنكار اسكله سي[48] الدفاعية السرية مع روسيا[49] في8تموز 1833م [50]، ومدة المعاهدة ثماني سنوات وقد أعلنت السلام والصداقة بين الدولتين وتعهدت بالوصول إلى اتفاق في كافة المسائل المتعلقة بالسلم والأمن وبإعطاء المساعدات العسكرية، وكان يكمن الهدف الحقيقي الروسي وراء توقيع المعاهدة بأغلاق المضائق أمام أي سفينة حربية عدا الروسية منها[51]، وكذلك عقدها السلطان آملاً في التنصل من شروط الصلح في كوتاهية، والانتقام من محمد علي باشا وتحرير أهم أملاك الدولة العثمانية في أضنة وبلاد الشام منه، استشعرت بريطانيا وفرنسا خطورة اتفاقيه هنكار اسكلة سي فأصابهما الخوف على مصالحهما في المنطقة واستحواذ روسيا على أملاك الدولة العثمانية، فاحتجتا على الاتفاقية برمتها والتي تجعل من

[45] جلول، بوقراف، *العلاقات* المصرية العثمانية في عهد محمد علي باشا ومواقف الدول الأوروبية منها (1805-1841)،،ص 1355

[46] الرافعي، عبد الرحمن، *عصر محمد علي*، ص 256.

[47] حسين، يوسف عمر يوسف، *الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية*، ص58.

[48] أنظر الملحق رقم (1).

[49] هنداوي، سهام، *التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية*، ص37.

[50] المحامي، محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، ص 330.

[51] حسون، علي، *العثمانيون والروس*، ص 106.

الدولة العثمانية رهينة للحماية الروسية.[52] فبعث وزير الخارجية البريطاني بالمرستون (Palmerston) مذكرة احتجاج ضد التحالف الروسي داعياً إلى إلغاء اتفاقية هنكار اسكله سي[53] وحاولت فرنسا منع محمد علي من تجديد الصدام مع الدولة العثمانية كي لا يعطي روسيا الفرصة لوضع المعاهدة حيز التنفيذ[54]، وفي الوقت الذي كان فيه محمد علي يسعى بكل ما يملك من قوة إلى إنهاء حالة الصراع المستمر بينه وبين السلطان العثماني الذي كان لا يدخر جهداً لهزيمته والتنصل من اتفاق كوتاهية، فبدأ يفكر بإعلان استقلاله وأن ينفصل نهائياً عن الدولة العثمانية، بدأ محمد علي باشا يسعى جاهداً لكسب التأييد الأوروبي لما عزم على تنفيذه فلم يجد أذاناً صاغية عند كل من حليفته فرنسا وأيضاً عند بريطانيا اللتين توافقت مصالحهما بضرورة إبطال مفعول معاهدة هنكار اسكله سي، وأصبح كل همهما وقف الخطر الروسي في البحر الأسود ومضائق الدردنيل[55] والبوسفور[56]، أدركت بريطانيا خطورة ما يفكر فيه والي مصر على مصالحها، فذهبت لتأييد مطالب السلطان العثماني لإنهاء حكم محمد علي باشا في بلاد الشام وأضنة وتحجيم نفوذه في مصر، وصل الأسطول البريطاني إلى مالطا في 30 تشرين الأول 1833م، وأما الموقف الفرنسي فقد توافق مع الموقف البريطاني[57]، كذلك خشي مترينخ[58] على النمسا من مضاعفات معاهده هنكار اسكله سي، اجتمع الامبراطور النمساوي فرنسيس الثاني (Francis II) مع القيصر الروسي نيقولا الأول في 10 أيلول 1833 في مونشنجراتز بناء على دعوة من قبل مترينخ ، وتم الاتفاق على توقيع معاهدة مونشنجراتز في 18 أيلول 1833م، التي تضمنت تعهد روسيا والنمسا المشترك للحفاظ على

---

[52] أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حالة الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر ومواقف الدول الأوروبية*، ص 983.

[53] العربيات، غالب عبد أحمد – شنيكات، خالد حامد طاهر، *الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام*، ص 365.

[54] حسين، يوسف عمر يوسف، *الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية*، ص 59.

[55] الدردنيل: مضيق يقع بين شبه جزيرة البلقان وآسيا الصغرى، ويصل بحر إيجة ببحر مرمرة .المصطفى، عبد الإله أحمد، *السياسة الأوروبية وتطورها في بلاد الشام*، ص29.

[56] البوسفور: مضيق طوله 27كم، يصل بين البحر الأسود وبحر مرمرة، ويفصل بين تركيا الآسيوية وتركيا الأوروبية .المصطفى، المرجع السابق، ص29.

[57] أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حالة الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر ومواقف الدول الأوروبية منه*، ص 987.

[58] مترينخ: وزير الخارجية للإمبراطورية النمساوية في الفترة من 1809 الى 1848م. غربال، محمد شفيق، *الموسوعة العربية الميسرة، المجلد 2*، ص 576.

وجود الدولة العثمانية، ومناهضة أي خطة يكون من شأنها إلحاق الأذى بحقوق السلطة العليا في الدولة العثمانية، تصاعدت الخلافات مجدداً بين بريطانيا وفرنسا من جهة ومع روسيا والنمسا من جهة أخرى في شهري شباط وأذار 1834 وذلك بسبب الأخبار المتواترة عن قيام روسيا بزيادة استعداداتها العسكرية في البحر الأسود وبحر البلطيق وبخاصة بعد الكشف عن البنود السرية في معاهدة مونشنجراتز بشكل أظهر وكأن هناك مؤامرة روسية نمساوية ضد بريطانيا وفرنسا[59]، و تغلغل الجيش العثماني في 21 نيسان 1839م في الأراضي السورية ونشبت معركه كبيرة بين الطرفين صباح يوم 24 حزيران 1839، فكانت واقعة نصيبين التي هزم فيها الجيش العثماني[60]، وكان وقع هذه المعركة أليماً على يلي الدولة العثمانية، لأنها خاتمة الهزائم التي حاقت بجيوشها في معاركها المتعاقبة مع الجيش المصري[61]، لقد حل بالعثمانيين بعد هزيمة نصيبين كارثتان كبيرتان ففي الأول من تموز 1839م توفي السلطان محمود الثاني قبل أن يعلم بالهزيمة المنكرة، وخلفه السلطان عبد المجيد[62]، الذي حاول أن يجنح للسلم فعرض موافقته على تخويل محمد علي حكم مصر وراثياً و إقرار سلطانه على بلاد الشام وجزيرة العرب، وكان محمد علي باشا شبه موافق على هذا الصلح بشرط إبعاد الأطراف الأجنبية.[63]

مواقف الدول الأوروبية بعد واقعة نصيبين:

بعد معركة نصيبين 1839، وما ترتب عنها من إخلال بموازين القوى العالمية أدركت القوى الأوروبية ضرورة القضاء على محمد علي أو على الأقل انسحابه من بلاد الشام[64] فوقفت الدول الأوروبية مواقف مختلفة تبعاً لاختلاف أطماعها، و بدأت بالضغط على محمد علي

[59] حسين، يوسف عمر يوسف، *الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسألة المصرية*، ص 63.
[60] بدراوي، طارق، *مولتكة أحد عظماء المفكرين الاستراتيجيين في القرن 19م*، ص15.
[61] الرافعي، عبد الرحمن، *عصر محمد علي*، ص 280.
[62] السلطان عبد المجيد الأول (1822-1861)، تولى الخلافة ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره، وكانت الحكومة في غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش محمد علي على الجيش العثماني. المحامي، محمد فريد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، ص529.
[63] بلال، هدى علي، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، ص 353.
[64] جلول، بوقراف، *العلاقات المصرية العثمانية في عهد محمد علي باشا ومواقف الدول الأوروبية منها (1805-1841)*،ص 1355.

مطالبة إياه إيقاف تقدم قواته و أن لا يتجاوز جبال طوروس[65]، و رابط الأسطول الفرنسي والبريطاني قبالة المضائق خشية دخول الأسطول الروسي إلى إستانبول، بالمقابل خشيت روسيا من تطور الموقف محلياً، ورأت في حركة محمد علي خروج على الشرعية التي يمثلها السلطان عبد المجيد، كما خشيت أن يستولي محمد علي على كامل أراضي الدولة العثمانية و يقيم إمبراطورية فتية محلها[66] كما رأت في مثل هذا النصر تفوقاً لسياسة فرنسا ومصالحها في الشرق لذلك اجتمع سفراء كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا في إستانبول وقاموا بتوجيه مذكرة للسلطان العثماني، طلبوا منه ألا يقرر شيئاً في أمر المسألة المصرية إلا بعد اطلاعهم[67]، قبل السلطان مذكرة سفراء الدول الأوروبية واجتمع أولئك السفراء مع الصدر الأعظم وتداولوا فيما يجب إعطاؤه لمحمد علي، وسارعت النمسا في أوائل 1840م إلى طلب عقد اجتماع للدول الأوروبية في فيينا لتسويه المسألة المصرية فاستجابت بريطانيا لطلبها وتقرر عقد المؤتمر في لندن وأن يكون للباب العالي مندوب فيه، وانتهى المؤتمر باتفاق بريطانيا و روسيا والنمسا لإرجاع محمد علي إلى مصر، و في 15 تموز 1840م وقعت الدول الثلاث ومندوب الباب العالي معاهدة لندن[68].

معاهده لندن 1840:

وفي 15 تموز 1840 تم عقد معاهدة لندن التي تضمنت عدداً من القرارات والشروط ومن أبرزها:

إلزام محمد علي باشا بإعادة المناطق التي سيطر عليها من الدولة العثمانية في التدخل الأخير، و الإبقاء على القسم الجنوبي من سوريا ما عدا عكا، و أن يكون لبريطانيا والنمسا الحق في محاصرة موانئ سوريا، وعدم السماح لمن يريد الدخول في طاعة المصريين على حساب الدولة العثمانية، و ألا يكون لأحدى الدول الحق بإدخال مراكبها إلى البوسفور ما دامت

[65] طوروس: سلسلة جبلية جنوب تركيا، تمتد موازية لساحل البحر المتوسط، جنوب آسيا الصغرى. غربال، محمد شفيق، الموسوعة *العربية الميسرة، مج 2*، ص116.

[66] قطاوي، رينيه - قطاوي، جورج، محمد *علي وأوروبا، ص8.*

[67] العربيات، غالب عبد أحمد – شنيكات، خالد حامد. طاهر، *الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام (1831-1841)*، ص398.

[68] أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حالة الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر*، ص 995.

إستانبول غير مهددة، و أن يلزم مندوبو الدول التوقيع على المعاهدة في مده لا تزيد على شهرين، و اتفقت الأطراف المشاركة في المؤتمر على مساندة السلطان إذا لم يقبل محمد علي باشا بالشروط المفروضة عليه[69]، وفي نهاية الأمر استقر رأي بالمرستون (Palmerston)[70] وزير خارجية بريطانيا على عقد معاهدة وفاق تضم الدول الأربع (روسيا– بريطانيا– بروسيا– النمسا) بعد استبعاد فرنسا.[71] وأُبرمت هذه المعاهدة بغير علم مصر وفرنسا فقد فوجئت الحكومة الفرنسية بخبرها و كان من نتائجها أن هاجت الخواطر فيها وتوترت العلاقات بينها وبين بريطانيا وأخذت فرنسا تحرض محمد علي باشا على نبذ قرارات الدول ولكنها أدركت أخر الأمر أنه لا قبل لها بأن تخوض غمار حرب أوروبية، فتراجعت وتركت مصر وحدها أمام الدول المؤتمرة [72]، وما أن علم محمد علي ببنود الاتفاقية حتى استشاط غضباً ورد بأن ما أخذ بالقوة لا يسلمه إلا بالقوة[73]، وهنا تجرأ السلطان العثماني ليصدر فرمان خلع محمد علي باشا للمرة الرابعة وأعلن محمد علي باشا رفضه شروط معاهده لندن مؤكداً عدم إذعانه لرغبة التحالف الأوروبي، وأتم استعداداته الحربية تحسباً لأي طارئ [74]، و إزاء موقف محمد علي الرافض، ذهبت قناصل الدول الأربع (بريطانيا– روسيا– بروسيا– النمسا) إلى مقر محمد علي باشا وابلغوه قرارات دولهم، واستمهلوه عشرة أيام وأن فرنسا لا تستطيع مساعدته وتطبيقاً لعامل الزمن المنصوص عليه في بنود الملحق فقد عاد القناصل إلى محمد علي وابلغوه أنه لم يبقَ له حق في ولاية عكا لأنه لم يعلن قبولهُ خلال الأيام العشرة الأولى [75]، وأن الدول الأوروبية لن تسمح له إلا في ولاية مصر وأمهلوه عشرة أيام أخرى فإن لم يفعل تكون الدول الأوروبية غير مسؤولة عن النتائج وقامت هذه الدول بتشكيل قوة عسكرية مشتركة لإلزام محمد علي باشا بتنفيذ

[69] العربيات، غالب عبد أحمد -شنيكات، خالد حامد طاهر، *الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام (1831-1841)*، ص400.

[70] بالمرستون (1784-1865): سياسي ورجل دولة بريطاني اسمه بالولادة هنري جون تمبل، اكتسب اللقب عام 1807، أصبح وزيراً للخارجية (1830-1841)، أشرف على سياسة بريطانيا المعادية لمحمد علي في مصر وبلاد الشام. الكيالي، عبد الوهاب، *الموسوعة السياسية، ص482.*

[71] بلال، هدى علي، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، ص 354.

[72] الرافعي، عبد الرحمن، *عصر محمد علي*، ص 292.

[73] أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حالة الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر وموقف الدول الأوروبية منه*، ص 1002.

[74] العربيات، غالب عبد أحمد – شنيكات، خالد حامد طاهر، *الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام (1831-1841)*، ص401.

[75] هنداوي، سهام، *التطور التاريخي للعلاقات الألمانية العثمانية*، ص38.

المعاهدة، ووصلت البحرية المصرية في 19 أيلول 1840 إلى مدينة بيروت، وتنبهت قوات الحلفاء إلى ضرورة شل القوة البحرية المصرية وتحييدها عن أرض المعركة فهاجمت ميناء بيروت الذي يشكل القاعدة الأساسية للجيش المصري واستمرت في مقارعه إبراهيم باشا مما أسفر عن قيام معركة ارتد على أثرها إبراهيم باشا إلى البقاع في حين استسلمت الحامية المصرية في بيروت التي كان لسقوطها نتائج كارثية على الموقف العسكري للقوات المصرية أدت إلى انسحاب الحاميات المصرية من أضنة واللاذقية و طرابلس وعكا، شعرت بريطانيا كزعيمة لقوات التحالف الأوروبي بنشوة انتصاراتها المتتالية التي حققتها ضد الجيوش المصرية في 21 تشرين الثاني 1840 وقامت بالضغط على محمد علي لقبول قرارات معاهدة لندن والانسحاب من بلاد الشام بأقل خسائر ممكنة، و في 27 تشرين الثاني تم التوصل إلى عقد اتفاق مع محمد علي باشا[76]، ونص الاتفاق على تعهد محمد علي بإجلاء قواته عن إيالات الشام جميعها وإعادة الأسطول العثماني إلى الدولة العثمانية مقابل منحه الحكم الوراثي على مصر، وتم تثبيت محمد علي باشا في باشوية وراثية في مصر تحت سيادة السلطان العثماني واتفقت القوى مجتمعة على إغلاق البوسفور والدردنيل أمام السفن الحربية الأجنبية كافة، ما دامت الإمبراطورية العثمانية في سلام.[77]

الخاتمة:

حاول محمد علي باشا من خلال حروبه مع الدولة العثمانية في بلاد الشام إقامة إمبراطورية عربية بحكم أنه يسيطر على الجزء العربي من الدولة العثمانية ونجح في بناء دولة لها مؤسساتها السياسية وأوجد توازناً حقيقياً بين اللامركزية الإدارية العثمانية والاستقلال الذاتي المصري إلا أن وجود الدولة المصرية بقوتها على الساحة الدولية أصبح يهدد مصالح الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا التي وجدت في سياسة محمد علي باشا تهديداً لسيادتها في البحرين الأبيض المتوسط والأحمر وخطراً لمصالحها على طريق الهند لذلك تكاتفت الدول الأوروبية لإنهاء الوجود المصري في بلاد الشام.

[76] أبو صيني، عبد الحميد محمد، *حالة الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر ومواقف الدول الأوروبية منه*، ص 1005.

[77] العربيات، غالب عبد أحمد – شنيكات، خالد حامد طاهر، *الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام (1831-1841)*، ص402.

طويت صفحة الحكم المصري في بلاد الشام بجلاء الجيش المصري عنها، وأصبحت ملكاً للتاريخ، حيث أخفق محمد علي باشا في تحقيق حلمه بتكوين إمبراطورية عربية تحت حكمه تقف حاجزاً بينه وبين الدولة العثمانية، وذلك بسبب تحالف الدول الأوروبية مع الدولة العثمانية ليس حباً بها وإنما لتحقيق مصالحها وأطماعها فيها.

استنتاجات:

-غضَّ محمد علي النظر عن التفاهم مع السلطان في الوقت الخاطئ، فانهار مشروعه النهضوي ووحدة مصر مع بلاد الشام، فشهدت المنطقة العربية منعطفاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً خطراً.

-عقب انتصار محمد علي على القوات العثمانية، قررت الدول الأوروبية أن تقف بشدة بوجهه وفي 1840، وقعت معاهدة لندن التي تقرر فيها مصير محمد علي، وفرضتها عليه الدول الأوروبية وأجبرته بها على الانكفاء داخل حدود مصر ووضعت مصر مرة أخرى تحت مظلة الدولة العثمانية مع منحها وضعاً متميزاً عن باقي الولايات التابعة لها وهو ما تمثل في حق ولاية العهد لأسرة محمد علي.

-كان للصراع المصري العثماني دوراً بارزاً في إعادة صياغة التوازن الدولي الأوروبي في منطقة المشرق العربي، فتناولت الدراسة إرهاصات التدخل الأوروبي في شؤون الدولة العثمانية لتلعب أقوى أدوارها في الحفاظ على الأمن الأوروبي في أضعف مراحل الدولة العثمانية التاريخية، والحد من توسعات محمد علي باشا التي هددت مصالحها التجارية والاستعمارية في الشرق.

باختصار حولت التدخلات الأوروبية الصراع المصري العثماني من مجرد مواجهة داخلية بين والٍ متمرد وسلطانه إلى مسألة شرقية دولية انتهت بتقليص نفوذ مصر وإعادة وضعها داخل الحدود التي رسمتها القوى الاستعمارية، وبعد أن اتضحت لنا أبعاد المصالح والرؤى الأوروبية وجب علينا أن نقر بأن الدول الأوروبية بأطماعها حقيقة ماثلة أمامنا وأصبحنا نراها رأى العين حتى يومنا هذا.

المصادر والمراجع:

المراجع:

1) أبو عز الدين. سليمان، *إبراهيم باشا في سوريا*، المطبعة العلمية، بيروت، 1929م.

2) أوغلو. عبد القادر ده، *السلاطين العثمانيين*، ترجمة محمد جان، دار سخون للنشر والتوزيع، تونس، 1990م.

3) بركات. داود، *البطل الفاتح إبراهيم باشا وفتحه الشام*، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2012م.

4) حسون. علي، *العثمانيين والروس*، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، دمشق، 1982م.

5) الرافعي. عبد الرحمن، عصر محمد *علي*، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، 1989م.

6) شاكر. محمود، *التاريخ الإسلامي" العهد العثماني"*، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، ج8، 2000م.

7) غازي، علي عفيفي علي، *الصراع المصري العثماني والتوازن الدولي*، الطبعة الأولى، قنديل، الإمارات العربية المتحدة، 2017م.

8) غنام. سليمان، *تاريخ نجد*، الطبعة الرابعة، دار الشروق، القاهرة، 1994م.

9) الغنام، سليمان بن محمد، *قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (1811-1840)*، تهامة للنشر، جدة، السعودية، ط1، 1980م.

10) المحامي، فريد. محمد، *تاريخ الدولة العلية العثمانية*، الطبعة الثانية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، بيروت، 2012م.

11) فنادولينا، أنينل ألكسندرو، *الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية*، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999م.

12) قطاوي، رينيه – قطاوي، جورج، محمد *علي وأوروبا*، دار الكتب والثقافة القومية، القاهرة، 2008 م.

13) لطيفه. سالم، *الحكم المصري في الشام*، الطبعة الأولى، مدبولي، القاهرة، 1990م.

14) مانتزان. روبير، *تاريخ الدولة العثمانية*، ترجمة بشير الساعي، الطبعة الأولى، دار الفكر، القاهرة، ج2 1993م.

15) مجموعة باحثين، *المنجد في اللغة*، ط29، دار المشرق، بيروت، 2008م.

الموسوعات:

1) غربال، محمد شفيق، *الموسوعة العربية الميسرة*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987م.

2) الكيالي، عبد الوهاب، الموسوعة السياسية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الهدى، بيروت، د.ت.

الدوريات العلمية:

1) بلال. هدى علي، *الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه*، مجلة أبحاث كليه التربية، المجلد 10، العدد4، 2011م.

2) جلول، بوقراف، العلاقات المصرية العثمانية في عهد محمد علي باشا ومواقف الدول الأوروبية منها (1805–1841)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج 13، ع2، 2020.

3) العربيات. غالب عبد أحمد– شنيكات. خالد حامد طاهر، *الموقف الروسي من التدخل المصري لبلاد الشام*، مجله الدراسات التاريخية، العددان 117–118، كانون الثاني– حزيران، 2012م.

4) يوسف عمر. يوسف حسين، *الدبلوماسية الفرنسية تجاه المسالة المصرية*، المجلة الأدبية للتاريخ والآثار، دراسة في ضوء وثائق وزارة الخارجية البريطانية غير المنشورة، جامعة الأردن، المجلد 11، العدد 2، 2017م.

5) أبو صيني. عبد الحميد محمد، حاله الصراع العسكري بين الدولة العثمانية وولاية مصر، دراسة في وثائق الحكم المصري 1831–1840م، الجامعة الهاشمية، 2016م.

6) بدراوي. طارق، مولتكة أحد عظماء المفكرين الاستراتيجيين في القرن 19، جريدة أبو الهول، العدد 7، 2019م.

رسائل ماجستير:

1) بلعابد، رابعة – غنجور، يمنية، الإصلاحات العثمانية وأثارها على بلاد الشام، رسالة ماجستير بإشراف برمكي محمد، جامعة أدرار، الجزائر، 2015م.
2) زوليخة، صفية – حسناوي، خديجة، المواجهة الأوروبية المصرية في عهد محمد علي، رسالة ماجستير، إشراف د. نادية طرشون، جامعة يحيى فارس بالمدية، الجزائر، 2015م.
3) المصطفى، عبد الإله أحمد، السياسة الأوروبية وتطورها في بلاد الشام (1840– 1878)، رسالة ماجستير، إشراف د. حسام النايف، جامعة دمشق، سوريا، 2014م.

المعاجم:

1) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، مجلد 3، مجموعة باحثين، المنجد في اللغة والإعلام، الطبعة 29، دار المشرق، بيروت، 2008م.
2) س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة عصام محمد الشحادات، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، بيروت، 2002م.

الملحق رقم (1):

٣ ـ معاهدة التحالف الدفاعي بين الأمبراطورية العثمانية وروسيا المعروفة بمعاهدة Ankiar Skelessi في ٨ يوليو سنة ١٨٣٣ م

المادة الاولى :

سيكون هناك سلام وصداقة وتحالف إلى الابد بين صاحب الجلالة امبراطور كل الروس وصاحب الجلالة امبراطور العثمانيين وامبراطوريتيهما ورعاياهما فى البر والبحر . والهدف الوحيد لهذا التحالف هو الدفاع المشترك عن الدولتين ضد كل اعتداء ، يلتزم صاحبا الجلالة بأن يتفاهما بدون تحفظ على كل المواضيع التى تتعلق باطمئنانهما وسلامتهما . وبأن يقدم كل منهما للآخر لهذا الغرض كل عون مادى وكل مساعدة فعالة .

المادة الثانية :

إن معاهدة التحالف الدفاعى الحاضرة تؤيد وتكرس حرفا حرفا معاهدة السلام المعقودة فى ادرنه Adrianopleفى ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٩ وكذلك جميع المعاهدات التى تمت وقتئذ والميثاق الموقع فى بطرسبرج Petersburgفى ١٤ ابريل سنة ١٨٣٠ وكذلك التوصية التى تمت فى استانبول فى ٩ و ٢١ يوليو سنة ١٨٣٢ بشأن اليونان .

المادة الثالثة :

عملا بمبدأ الدفاع المشترك الذى هو أساس معاهدة التحالف الحاضرة وبسبب الرغبه المخلصة فى المحافظة على استقلال الباب العالى التام فان صاحب الجلالة ملك كل الروس يتعهد فى حالة حدوث ظروف تستدعى لاسمح الله ، من الباب العالى طلب المساعدة البرية

والبحرية من روسيا ، بان يقدم له برا وبحرا كل الجيوش التى يجدها الفريقان المتعاقدان ضرورية وقد تم الاتفاق على أن تكون هذه الجيوش والوحدات التى يطلب الباب العالى نجدتها تحت تصرفه .

المادة الرابعة :

وانسجاما مع ماذكر اعلاه فان نفقات تموين الجيوش البرية والوحدات البحرية التى يقدمها احد الفريقين لمساعدة الآخر تكون على عاتق الفريق الذى يطلب المساعدة ..

المادة الخامسة :

إن فى نية كل من الفريقين المتحالفين أن تستمر هذه المعاهدة إلى اطول فترة ولكن ظروفا جديدة قد تطرأ فتقضى بإدخال بعض التعديلات عليها فتحسبا لهذه الظروف والتعديلات اتفق الطرفان على جعل مدة هذه المعاهدة ثمانى سنوات تبدأ من اليوم الذى يتم فيه توقيع صاحبى الجلالة عليها . وقبل ان تنقضى هذه المدة يتداول الفريقان ويتفاهما على تجديدها وفقا للظروف والاحوال .

المادة السادسة :

يتم اقرار هذا المعاهدة من قبل كل من الفريقين العاليين ويجرى تبادل وثائقها فى الاستانة وذلك بعد مضى شهرين على توقيعها أو قبل ذلك إذا أمكن .

وهذه الوثيقة المؤلفة من ستة بنود قد تم وضعها فيما بيننا على نسختين ذيلها كل منا بتوقيعه وخاتمه عملا بالصلاحيات المطلقة المعطاة له واحتفظ كل من الجانبين بنسخة ..

مادة سرية مستقلة

قضت المادة الاولى من معاهدة التحالف الدفاعى المعقودة بين البلاط الامبراطورى الروسى والباب العالى بأن يقدم كل من الفريقين المتحالفين للآخر المساعدات المادية الأكثر فعالية لتأمين سلامة المملكتين ولكن صاحب الجلالة امبراطور البلاد الروسية رغبة منه فى أن لا يثقل كاهل الباب العالى العثمانى بتحميله اعباء هذه المساعدات ويكتفى من حليفه باقفال مضيق الدردنيل أى بأن لا يسمح لأى سفينة حربية أجنبية أن تدخله لاى سبب من الاسباب .

ويكون لهذه المادة السرية المستقلة ذات القيمة والقوة اللتين لمواد المعاهدة وهى جزء منها له مثلها صفة الالزام ..

الغنام، سليمان بن محمد، *قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية (1811-1840)*، تهامة للنشر، جدة، السعودية، ط1، 1980م، ص150.